مراجعة كتاب

" المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك "

المؤلف: الدكتور عبدالله معروف عمر

الناشر: دار العلم للملايين – بيروت

عدد الصفحات: 160

تزخر رفوف المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات التي تناولت موضوع المسجد الأقصى المبارك، في دلالة على أهميته وسمو مكانته في حياة المسلمين وعقيدتهم. إلا أن ما يميز هذه الكتابات طغيان العاطفة أو التركيز على الجانب السياسي دون غيره من الجوانب، أو التعمق في شرح الظرف الراهن للمسجد الأقصى بعيدا عن السياق التاريخي له. وخلافا للنمط السائد اعتمد عبدالله معروف عمر منهجا مغايرا في تناوله للموضوع ، فكان كتابه "المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك" محاولة نحو دراسة علمية اعتمد فيها المزاوجة بين منهج البحث التاريخي ومنهج البحث الأثري، هذا بالإضافة إلى منهج التفسير والحديث حيث يبدو مركز المسجد الأقصى في الإسلام حاضرا أساسيا في الدراسة. و لتحقيق ذلك عمد المؤلف إلى استقراء المعلومات من مصادرها التاريخية والإسلامية، وطرح قضايا بحثه على شكل اسئلة ونقاش لتحفيز القارئ وتشويقه للمعلومة، مبتعدا عن أسلوب السرد التقليدي، فعرض القضايا والأقوال المتباينة حولها وفندها علميا ومنطقيا حتى رجح رأيا على آخر،وخلص في الختام إلى دراسة شاملة متعددة الزوايا والجوانب ومركزة في حدود المسجد الأقصى. ويعد الكتاب مهما للباحثين والمهتمين في الشؤون المقدسية والفلسطينية والإسلامية لأنه

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس

www.isravakfi.org

يبين مركزية المسجد الأقصى دينيا وتاريخيا، ويوضح المفاهيم، ذات الصلة بالمسجد، التي قد تلتبس على البعض أو قد يسئ استخدامها آخرون. كما أن معرفة موقف غير المسلمين، من يهود ونصارى، من المسجد الأقصى يعد مطلبا أساسيا لمن يتبنى الطرح الإسلامي في الاستدلال على إسلامية المكان في الرد على من يدعي غير ذلك.

ودراسة المسجد الأقصى، فيما يراه الكاتب، فرع أصيل في حقل دراسات بيت المقدس، التي تعنى بدراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة التي حددها الله عز وجل. ويتفرد الكتاب باستعانته بأبحاث ودراسات علمية وهندسية حديثة اختصت بالمسجد الأقصى المبارك وبيت المقدس. وفي هذا السياق يتطرق الكاتب إلى التسميات المختلفة للمسجد الأقصى ضمن تناوله محور المفاهيم. فوضح مفهوم المسجد بشكل عام ثم فرق بين بيت المقدس "المسجد"، وبيت المقدس "المدينة"، وبيت المقدس "المنطقة الإقليمية"، مستندا في شرحه للمفهوم على دراسة هامة لخالد العويسي، الذي أعاد خلالها ترسيم حدود بيت المقدس كما وردت في كتب السنة والتاريخ والجغرافيا. ولا تقف إفادة الكاتب على هذه الدراسة فقد استقى من بحث آخر لهيثم الرطروط كشفه عن رابط فريد بين المسجد الأقصى والمسجد الحرام من ناحية الشكل والبناء، معتمدا على دراسة هندسية وتاريخية دقيقة أظهرت سرا كان مخبوءا لقرون طوال. وهو لا يغفل، إلى جانب ذلك، الروابط الدينية الأخرى بين المسجدين وأحيانا مساجد الإسلام الثلاثة. ولتوضيح جزئيات الصورة عمد الكاتب إلى تعريف الأسماء والمسميات لما داخل المسجد كقبة الصخرة وسبيل قايتباي وغيرها موليا جل الاهتمام للجامع القبلي الذي درج الناس على تسميته بالمسجد الأقصى جهلا بالمسمى. وبعد شرح محور المفاهيم والأحكام، أتبعه الكاتب بمحوري التاريخ فالعقائد.

ففي محور التاريخ، الذي يحتل الجزء الأكبر من الكتاب، شرع الكاتب عرضه بإدراج الأقوال المختلفة حول باني المسجد الأقصى ابتداء، وإيراد الأدلة العقلية والنقلية ومناقشتها وتفنيد كل قول على حدة، ليرجح بعد ذلك أن الباني هو آدم عليه السلام. مشيرا إلى انقطاع التأريخ للمسجد بعد ذلك حتى عهد اليبوسيين. وواصل الكاتب عرضه

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

لأهم الأحداث التاريخية بادئا بحكم الهكسوس ثم استيطان بني إسرئيل جنوب بادية الشام ثم انتقالهم إلى مصر. وفي هذا المضمار يدخل الكاتب القارئ في متاهة الرد على أحد المفكرين[1] والتي، فيما أرى، لا تسهم في توضيح الصورة للقارئ. واستطرادا للموضوع لا يغفل الكاتب الهجرات التي توالت على فلسطين عبر المتوسط مشيرا إلى الافتقار لأي أدلة تاريخية حول المسجد في تلك الفترة. لينتقل بعدها إلى الحكم الفرعوني والانحراف العقدي والإيماني لسكان المنطقة مما اقتضى إعادة ترتيبها بمسير موسى عليه السلام نحوها. ويبرز الكاتب نقطة في غاية الأهمية للباحثين وهي ضرورة توخي الحذر في التعامل مع الإسرائيليات التي تناقلتها الرويات الشعبية دون تثبت.

ثم أشار الكاتب إلى اعتقاد المسلمين بإعادة سليمان عليه السلام بناء المسجد الأقصى مستدلاً بالحديث الشريف الذي يذكر بناء سليمان بيت المقدس برغم عدم توفر أي أدلة مادية وأثرية لفترة ما قبل القرن الميلادي الأول. واستكمالا للعرض التاريخي عرج الكاتب على مرحلة البابليين وطرد اليهود ثم أعادة الفرس لهم. وقد أولى الكاتب اهتماما بالغا بمرحلة الرومان وأسهب فيها ببعض التفصيل . ثم تحدث عن بيت المقدس كمدينة مسيحية ظلت محل نزاع بين الفرس والبيزنطيين حتى الفتح الإسلامي. الذي يراه الكاتب متمثلا بحادثة الإسراء والمعراج التي وثقت عرى الارتباط بين المسجد الاقصى والمسجد الحرام. وناقش الكاتب في هذا السياق عدة قضايا كمكان صلاة النبي ﷺ وجهة دخوله إلى المسجد ومكان ربط البراق ومكان المعراج لكنه اعتمد في هذا الباب على وجه الخصوص على روايات شفوية وخبرات شخصية تحتاج إلى تدعيم بالأدلة العلمية الموثقة إذ أن مناقشتها قد تسهم في تشتيت القارئ بدلا من تبسيط المعلومة له.

ومن العناوين الهامة التي طرحها الكاتب بعد العرض السابق "خطة" النبي ﷺ لفتح بيت المقدس بدءا بإشارته للصحابة ثم بتسيير الجيوش عمليا نحو الشام. وتابع الكاتب

---

[1] يرد على المفكر صلاح أبو عرفة في ادعائه أن عمران (والد مريم) هو ذاته يعقوب عليه السلام ص 77-78

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

تسلسل الأحداث التاريخية منذ الفتح العمري لها حتى اليوم، وناقش الكاتب بالتحليل والتفنيد دخول عمر المدينة والروايات المختلفة حولها خاصة قضية استبعاد اليهود. وبعد ذلك سرد الكاتب تاريخ المسجد الأقصى بعد الحكم الراشدي موليا جل اهتمامه للجانب العمراني من إضافات وترميم قامت به الدولة المسلمة تواليا، مبتدئا بتحفتي المسجد الأقصى: قبة السلسلة وقبة الصخرة. ولا يكتفي الكاتب هنا بالوصف والسرد بل تعداه إلى نقاش نقدي لنظريات بنائهما والاشخاص الذين قاموا بذلك. وبعد ذكر إضافات الصليبيين للمسجد واسترجاع الايوبيين لها، ينوه الكاتب إلى استمرار حركة العمران فيها رغم الأوضاع السياسية غير المستقرة في بعض الحقب. على إثر ذلك ينطلق للحديث عن العثمانيين مع إشارة إلى الأوضاع السياسية في نهاية حكمهم وموقف السلطان عبد الحميد من المحاولات الصهيونية. وبقيت أحوال المسجد الأقصى وعمرانه وإدارته أيام المجلس الاسلامي الأعلى فالحكم الأردني حتى يومنا هذا جوهر حديث الكاتب مع إشادته بدوري مؤسسة الأقصى ولجنة التراث الإسلامي . وبهذا ختم الكاتب محور التاريخ في المسجد الأقصى بتسلسل وشمولية، إلا أنه لا يورد في هذا الباب توثيق جميع المعلومات مما يضعف من مصداقيتها أو قد يحرم بعض الأكاديميين من الاقتباس منه. كما كان يجدر بالكاتب أن يتحرى مزيدا من الدقة في نقل المعلومات، فقد نسب مخطئا سرد حدود بيت المقدس للفقيه ابن قدامة المقدسي (ت: 1223م) والصحيح أنه الجغرافي شمس الدين البشاري المقدسي (ت: 1000م) هو من أورد تلك الحدود. ومما يؤخذ على الكاتب إسهابه في إدراج الكثير من الآراء التي يعارضها ونقاشها خلال النص، وهذا على أهميته يشتت القارئ خاصة إن كان يبحث عن البساطة والمعلومات المباشرة. بالإضافة إلى ما سبق كان حريا بالكاتب أن يورد بعض التفصيلات بالهامش ويتجنب بعض التكرار[2] والتراكيب اللغوية غير الدقيقة للحفاظ على انسيابية النص.

[2] كتكرار التعريف بدراسة الرطوط صفحة 48، او إعادة بعض الجمل كما في صفحة 138

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org

أما المحور الأخير وهو محور العقائد فهو الأكثر اختصارا وقد يكون الأكثر تشويقا، إذ شرح الكاتب فيه نظرة غير المسلمين للمسجد الاقصى: أي اليهود والنصارى. وهنا موطن التفرد، إذ غالبا ما تتركز الكتابات بإيراد نظرة اليهود وعدم الاكتراث للنصارى، ولعل هذا نتاج الوضع السياسي الراهن وتأثر الكتاب بحال المسجد الأقصى المبارك في الوقت الحالي. وقد عرض الكاتب موقف أصحاب كلتي الديانتين من المسجد، فأدرج آراء اليهود المختلفة حول "المعابد الثلاثة"، ووضح انقسامهم إزاءها. وأوضح بعد ذلك موقف النصارى في هذا الأمر، والذي أفضى كذلك إلى اختلاف بينهم حيال المسجد الاقصى، منبها أن أصحاب كلتي الديانتين يؤمنون بالعهد القديم. هذا وأشار الكاتب في نفس المحور إلى أهمية بيت المقدس كمدينة في عقيدة النصارى، إذ تعد أرضا مقدسة يحجون إليها سائرين على خطى المسيح عليه السلام. واللافت للنظر أن الكاتب خصص باباً في هذا المحور عرض فيه خصوصية باب الرحمة (أحد أبواب المسجد الأقصى) في عقيدة اليهود والنصارى إذ أن كلتي الطائفين تؤمنان أن المسيح سيدخل منه في آخر الزمان. غير أن موضوعا بهذه الأهمية يحتاج إلى مزيد من التطوير، وعند مقارنته بالفصلين السابقين فإن حظه من الشرح والتفصيل أقل.

وبالمجمل فإن الكتاب يمثل الخطوط العريضة نحو دراسة شاملة للمسجد الأقصى برؤية جديدة تعتمد الأسلوب العلمي والنقدي والتاريخي. فتوضيح المفاهيم المتعلقة بالمسجد وبيت المقدس، وسرد الاحداث التاريخية التي يزخران بها، وشرح مواقف غير المسلمين منهما، لتعد أساسيات لا يستغني عنها الدارس للمسجد الأقصى المبارك. ليجد القارئ في هذا الكتاب طريقا يسا يستند إليه قبل الإبحار في بحر التاريخ العميق الذي ترك لمساته في كل زاوية من زوايا المسجد. وليكون تعلق المسلمين بالمسجد الأقصى نابعا عن معرفة ودراية ووعي وعلم لا تعلق مشاعر وعواطف فقط.

نور محمود أبو عصب

المكتبة الإلكترونية للمشروع المعرفي لبيت المقدس
www.isravakfi.org